



لماذا لم تنتصر الثورة السورية بعد خمس سنوات من التزيف والتضحيات؟ سؤال مُلحٌّ على الأقل في ضوء هول العنف الذي شهدته وعدد الضحايا وتدمیر مدن بأكملها وتهجير ثلثي السكان إلى خارج الوطن أو إلى مناطق فيه، والقيام بعمليات تطهير عرقي في بعض المواقع! الثمن باهظ، ولا تلوح في الأفق بارقة أمل رغم جولتي التفاوض في جنيف.

سأكون مجازفًا بعض الشيء وأدعّي أن الثورة كانت ستنتصر في نهاية عامها الثالث لو أنه تم تزويد الثوار، حتى في فصائلهم العلمانية المعتدلة فقط، بمنظومتي سلاح متطورتين، الأولى مُضادة للدروع والثانية مضادة للطائرات، ولو تلك المحمولة على الكتف. لو أن فصائل من الثوار امتلكت هذين السلاحين كانت الثورة انتصرت ليس فقط على النظام بل على داعش، لأنها كانت ستقطع الطريق عليها. لكن ينبغي تأكيد أن الغرب بقيادة الولايات المتحدة منع تسليح الثورة بهاتين المنظومتين، في إطار مناورات الولايات المتحدة لضبط نار الثورة وتكريسها خدمة لمصالحها في المنطقة وخارجها. وأرجح أن الإدارة الأميركيّة منعت حلفاء الثورة من العرب أن يفعلوا ذلك (التسلیح النوعي) وضغطت عليهم كي لا يكون تدخلهم أبعد من التدخل الأميركي!

الأمر الآخر اللافت للنظر هو هذه «القصة» مع داعش. وهنا أيضًا أروم المجازفة والقول، بناء على دراستي للظاهرة في إطار رسالة جامعية، إنه لو أن المعنيين، وخصوصاً في الغرب، أرادوا القضاء على الظاهرة فعلاً، أو منع تمددها إلى سوريا،

ل فعلوا في غضون شهر أو شهرين على الأكثـر. لكن، مثـلـاـ كانت هناك محاور تحاول استثمار الثورة ووقائـها على الأرض، كان هناك نفس العـدـدـ منـ القـوىـ الإـقـلـيمـيـةـ التيـ استـثـمـرـتـ وجودـ «ـداعـشـ»ـ وـنـاـورـتـ بـهـ،ـ وأـوـلـاـ النـظـامـ السـوـرـيـ،ـ الـذـيـ تـفـاهـمـ معـ التنـظـيمـ فـيـ أـكـثـرـ مـفـصـلـ وـمـوـقـعـ،ـ خـصـوصـاـ فـيـ مـاـ يـتـصـلـ بـتـسـلـيمـهـ حـقـولـ نـفـطـ وـغـازـ لـاقـتنـاءـ الـمـازـوـتـ مـنـهـ،ـ أوـ لـجـهـةـ تـشـغـيلـهـاـ كـاسـرـ لـشـوـكـةـ فـصـائـلـ مـعـارـضـةـ أـخـرـىـ فـيـ مـوـاـقـعـ التـمـاسـ الـقـتـالـيـةـ.ـ وـكـلـاـ يـذـكـرـ التـمـدـ الدـاعـشـيـ الـمـبـثـوـثـ عـلـىـ الشـاشـاتـ فـيـ شـرـقـ سـوـرـيـةـ وـتـدـمـرـ عـلـىـ مـرـأـيـ وـمـرـمـيـ الطـائـرـاتـ الـأـمـيرـكـيـةـ،ـ الـتـيـ تـبـدوـ الـآنـ كـأـنـهـاـ غـطـتـ عـلـىـ التـمـدـ وـلـمـ تـأـتـ لـمـحـارـبـتـهـ!ـ بـلـ إـنـ غـارـاتـ الطـائـرـاتـ الـمـخـتـلـفـةـ الـهـوـيـةـ عـلـىـ مـوـاـقـعـ دـاعـشـ وـقـوـاتـهـ خـضـعـتـ بـالـكـامـلـ لـرـؤـيـةـ أـمـيرـكـيـةـ وـقـصـدـتـ فـيـ حـدـهـ الـأـقـصـىـ تـحـجـيمـ هـذـاـ التـنـظـيمـ أـوـ مـنـعـهـ مـنـ التـمـدـ هـنـاـ أـوـ هـنـاكـ وـلـيـسـ الـقـضـاءـ عـلـيـهـ لـيـظـلـ وـرـقـةـ لـعـبـ.

الاستنتاج من المحوريـنـ الـآنـفـينـ،ـ أـنـ تـقـاطـعـ مـنـظـومـاتـ الـمـصـالـحـ فـيـ سـوـرـيـةـ بـيـنـ الـنـظـامـ وـلـحـلـفـائـهـ وـبـيـنـ الـقـوـىـ الـدـولـيـةـ وـالـإـقـلـيمـيـةـ مـالـ لـصـالـحـ الـنـظـامـ،ـ بـيـنـماـ ظـلـلـتـ وـرـقـةـ الـثـورـةـ ضـعـيفـةـ وـلـاـ تـعـنـيـ الـكـثـيرـ لـهـذـهـ الـمـنـظـومـةـ إـلـاـ بـقـدـرـ مـاـ خـدـمـتـهـ،ـ فـالـإـدـارـةـ الـأـمـيرـكـيـةـ اـسـتـعـمـلـتـ الـوـرـقـةـ السـوـرـيـةـ بـاـرـتـبـاطـ بـالـوـرـقـةـ الـأـوـكـرـانـيـةـ وـالـرـوـسـيـةـ،ـ وـبـتـلـكـ الـإـيـرـانـيـةـ وـالـتـفـاـوـضـ الـغـرـبـيـ معـ طـهـرـانـ حـوـلـ مـشـرـوـعـهـاـ الـنـوـوـيـ.ـ بـمـعـنـيـ إـنـ الـإـدـارـةـ الـأـمـيرـكـيـةـ لـمـ تـنـظـرـ إـلـىـ الـثـورـةـ بـذـاتـهـاـ أـوـ بـوـصـفـهـاـ حـقـ شـعـبـ فـيـ التـخـلـصـ مـنـ طـاغـيـتـهـ،ـ بـلـ كـوـرـقـةـ يـتـقـاطـعـ الـتـعـاـمـلـ مـعـهـاـ مـعـ مـسـائـلـ أـخـرـىـ عـلـىـ جـدـولـ مـصـالـحـ تـلـكـ الـإـدـارـةـ.ـ وـخـلـافـاـ لـمـ أـشـيـعـ سـابـقاـ،ـ فـإـنـ الدـورـ الـأـمـيرـكـيـ كـانـ أـسـاسـيـاـ فـيـ إـدـامـةـ الـأـزـمـةـ وـبـقـاءـ الـنـظـامـ.ـ وـيـمـكـنـنـاـ وـالـحـالـةـ كـهـذـهـ أـنـ نـقـولـ إـنـهـاـ قـدـمـتـ مـصـالـحـ الـشـعـبـ السـوـرـيـ الـمـنـفـضـ وـمـصـالـحـ دـاعـمـيـهـ الـحـقـيـقـيـنـ عـلـىـ مـذـبـحـ مـصـالـحـهـاـ هـيـ،ـ وـالـتـيـ تـلـخـصـتـ فـيـ جـمـلةـ تـفـاهـمـاتـ مـعـ رـوـسـيـاـ وـإـيـرـانـ،ـ الـأـمـرـ الـذـيـ تـنـظـرـ إـلـيـهـ تـرـكـيـاـ وـالـسـعـوـدـيـةـ بـقـلـقـ بـالـغـ وـيـشـعـورـ بـأـنـ إـدـارـةـ أـوـبـامـاـ قـدـ أـدـارـتـ لـهـمـاـ ظـهـرـهـاـ!ـ بـلـ نـرـىـ أـنـهـمـاـ مـحـجـمـتـانـ عـنـ تـدـخـلـ نـوـعـيـ يـقـلـبـ مـواـزـيـنـ الـأـمـورـ عـلـىـ الـأـرـضـ بـسـبـبـ فـيـتوـ أـمـيرـكـيــ روـسـيـ مشـتـرـكـ.

وـعـلـيـهـ،ـ سـيـجـدـ الـشـعـبـ السـوـرـيـ نـفـسـهـ مـنـ جـدـيدـ أـمـامـ مـصـيـرـهـ وـسـيـخـلـصـ إـلـىـ نـتـيـجـةـ أـنـهـ هـوـ وـحـدـهـ الـقـادـرـ عـلـىـ الـحـسـمـ،ـ أـنـهـ مـنـ الـأـفـضـلـ إـبـقـاءـ مـسـأـلـةـ الـحـسـمـ فـيـ يـدـهـ هـوـ وـإـنـ طـالـتـ الـثـورـةـ.ـ وـهـنـاـ،ـ نـرـىـ الـأـفـضـلـيةـ لـلـثـوـرـةـ الـخـارـجـيـنـ مـنـ صـلـبـ الـشـعـبـ وـقـضـيـتـهـ عـلـىـ أـوـلـئـكـ الـوـافـدـيـنـ مـنـ الـخـارـجـ.ـ وـمـنـ هـنـاـ أـيـضـاـ،ـ ضـرـورـةـ الـمـرـاجـعـةـ وـبـنـاءـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ جـدـيـدةـ تـعـوـلـ عـلـىـ الدـاـخـلـ السـوـرـيـ وـتـرـاهـنـ عـلـىـ التـنـظـيمـ وـالـاقـتـدارـ الدـاخـلـيـ،ـ وـهـوـ مـاـ يـسـتـدـعـيـ التـخـلـصـ مـنـ الـرـهـانـ عـلـىـ قـوـيـةـ خـارـجـيـةـ،ـ وـإـنـ كـنـتـ عـلـىـ اـعـتـقـادـ أـنـ لـهـذـهـ الـثـورـةـ حـلـفـاءـ مـخـلـصـيـنـ مـنـ الـعـرـبـ.ـ أـمـاـ اـحـتمـالـاتـ التـقـسـيمـ السـيـادـيـ أـوـ إـدـارـيـ لـسـوـرـيـةـ كـمـاـ حـدـدـتـهـ اـتـفـاقـيـاتـ سـايـكـســ بـيـكـوـ،ـ فـيـنـبـغـيـ أـلـاـ تـمـنـعـ مـثـلـ هـذـهـ التـدـابـيرـ فـيـ صـفـوفـ الـثـورـةـ وـأـوـلـئـكـ الـذـيـنـ ضـحـواـ بـكـلـ شـيـءـ مـنـ أـجـلـ كـنـسـ الـطـاغـيـةـ،ـ فـمـنـ الـمـهـمـ وـالـأـفـضـلـ أـنـ تـكـوـنـ لـهـمـ مـشـارـيعـهـمـ وـمـخـطـطـاتـهـمـ لـيـوـاجـهـوـ بـهـاـ الـمـرـحـلـةـ الـمـقـبـلـةـ.

الحياة اللندنية

المصادر: